

تفريغ

شرح معارج القبول

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الخليل

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

قام بها

فريق التضيغات بموقع ميراث الانبياء



شرح معارج القبول بشرح سلم الوصول

للشيخ حافظ بن أحمد الحمي

- رحمه الله تعالى -

للشيخ د. محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلاً لشرح كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول للشيخ : حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله تعالى - يشرحه فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله تعالى - والذي ألقاه في مسجد بدر العتيبي بالمدينة النبوية نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع به الجميع .

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
قال العلامة حافظ بن أحمد حكمي - رحمه الله تعالى - تحت قوله :

[المتن]

والسحر حق وله تأثير لكن بما قدره القدير
أعني بذا التقدير ما قدره في الكون لا في الشرعة المطهرة
قال قلت قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات
والأحاديث وأقوال عامة الصحابة وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية
فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذة بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها
وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيواناً وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في
قدرة الله - عز وجل - ولا غير ممكن فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد فلا مانع
من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحانا وابتلاء وفتنة لعباده.

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد
فهذا الذي ذكره المصنف - رحمه الله تعالى - من تأثير السحر وكونه حقيقة ، هذا الذي عليه
جماهير أهل السنة ، - والله الحمد - جماهير العلماء
أهل السنة كلهم على هذا، وما خالف أهل السنة إلا أهل الأهواء والبدع
فالسحر حقيقة وتأثيره ثابت ، وتأثيره على قسمين :

القسم الأول:

أن يؤثر هذا السحر بأمر الله - تبارك وتعالى - فيوجع ويُمرض أو يفرق بسببه بين المرء وزوجه ، أو يقتل الإنسان إما قتلاً وإما مرضاً وإما تفرقة بين المتحابين فهذا أيضاً حقيقة لا ينكرها إلا من أضله الله - جل وعلا - لأن الله - جل وعلا - قد ذكر ذلك في كتابه .
وجاء معنا فيما تقدم في لقاءنا الماضي في صحيح سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فالإمراض والقتل به والتفرقة بين المتحابين هذا ثابت .

وهو الذي انتهى إلينا علمه في الأمم الماضية فيما أخبرنا الله - جل وعلا - في كتابه
قال - جل وعلا - : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا هُمْ
بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

فأثبت له الضرر بإذنه وإرادته ومشيعته الكونية القدرية ونعني بذلك أن هذا الأمر يقع في
الكون بتقدير الله وعلمه - سبحانه وتعالى - به لا يخرج عن تقديره ولا عن علمه - جل
وعلا - شيء فأخبرنا في هذه الآية بأمرين: أنهم يتعلمون ما يفرقون به بين المرء وزوجه .
وأخبر - جل وعلا - أنهم ما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، فأثبت الضرر بإذنه - جل
وعلا - فهذا قد أخبرنا الله - سبحانه وتعالى - به .

وفي لقاءنا الماضي تقدمت الأحاديث التي فيها سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهذا مرض ، صاحبنا مطبوب ، إن الرجل مطبوب ، قال من طبه ، قال: لبيد بن الأعصم
تقدم معنا .

مطبوب مسحور يعني مريض بالمرض قد ثبت بهذه الأحاديث ، والمرض نوع من الضرر ،
والقتل كذلك يحصل بالسحر، والتفرقة بين المتحابين سواء كان الرجل وزوجه، المرأة
وزوجها، أو الأعبة من عموم الناس ، قد أثبتته الله في كتابه بقوله ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَزَوْجِهِ﴾

هذا القسم الأول: الذي انتهى إلينا علمه في كتاب الله وسنة - رسوله صلى الله عليه وسلم -
القسم الثاني: من تأثير السحر قلب الأعيان إلى أعيان أخرى .

كقلب الجماد إلى حيوان مثل العصا إلى حية أو أن يحول الإنسان إلى قرد مثلاً ، يعني الحيوان إلى حيوان آخر فابن آدم حيوان ناطق متكلم ، هذا القسم لم ينته إلينا فيه شيء خبر بوقوعه ، بأنه قد حصل من الساحر أنه قلب العصا إلى حية حقيقة ولعل قائل يقول وسحرة فرعون ، قلنا قد تقدم الكلام عليه على قوله - جل وعلا - ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (طه) فعصا موسى حقيقة انقلبت من جماد إلى حيوان بأمر الله - تبارك وتعالى - ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُمِينٌ ﴾ (الأعراف) في الآية الأخرى ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (الأعراف) فهذا حقيقة وليس بسحر لأنها معجزة من الله - تبارك وتعالى - تحدى بها موسى - صلى الله عليه وسلم - فرعون في هذا الجمع يوم الزينة يوم العيد من أعيادهم ففضحه الله وسحرتة على رؤوس القوم ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ (طه) فألقى عصاه - صلى الله عليه وسلم - فإذا هي ثعبان مبین تلقف ما يأفكون ، انقلبت من جماد إلى حية تسعى ضخمة تأكل هذه الحبال وهذه العصي التي ألقاها السحرة سحرة فرعون ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴾ (الشعراء) هذه حبال وعصي حقيقة جمادات ما تغيرت ولا خرجت عن حقيقتها، لكن لأنهم جعلوا على أعين الناس غشاوة واسترهبوهم وجاءوا بسحرٍ عظيم كان يُخيل للناس أنها حيات وأفاعٍ ، وهي في الحقيقة عصي وحبال جامدة لا تتحرك.

فالسحر كان على أعين الناس فسحروا أعين الناس حتى صاروا يرونها حيات وأفاعي، وإنما هي في الحقيقة حبال وعصي مكائها ما تحركت .

ولكن عصي موسى إلى فرعون لأنها معجزة انقلبت بأمر الله من جماد إلى حيوان إلى حية كبيرة ضخمة تلقف ما يأفكون.

فالذي حول - سبحانه وتعالى - هذه العصا من جماد إلى حيوان يدب يزحف على بطنه يأكل كل ما أمامه مما ألقى، قادر على أن يختبر - سبحانه وتعالى - ويتلي عبادته بأن يحول

الجماد إلى كائنٍ حي وأن يحول الأحياء من شكل إلى شكل، فغير محال في قدرة الله - جل وعلا - إن الله لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران) - سبحانه وتعالى - فالذي لا يُعجزه شئ قادر على أن يتلي عباده ويمتحنهم ويختبرهم، لكن مع هذا مع كونه ممكناً لم يحصل هذا ما انتهى إلينا بنجر صحيح أن الساحر حول العصا إلى حيوان ، وما انتهى إلينا بنجر صحيح أن الساحر حول إنسان إلى كلب أو إلى قرد، نعم ممكن يطمس على أعين الناس ويسحرها فتري أن هذا الجمل صار قرد لكن حقيقة هو جمل مثل البيت ، ولكن الأعين لا ترى على حقيقته لأنها مسحورة لكن هل في الحقيقة تحول لا ما تحول فهذا ممكن في أعين الناس يرونه تحول ولكن في الحقيقة ما تحول.

ويُخبرني الوالد جزاه الله خيراً قديماً أيام دعوة الشيخ عبد الله القرعاوي - رحمة الله - عليه يقول جاءهم من بلاد اليمن ساحر فكان يزعم المخاريق أنه يفعل ويفعل ويفعل والناس يخافونه ويهابونه مع ضعف العقيدة يحصل هذا في قلوب الناس، فكان يصور لهم أنه يدخل من دبر الجمل ويخرج من فمه والعكس، فجاء ذلك اليوم إلى الناس في قرية من القرى واسترهبهم بهذا، فبلغ خبره إليهم طلبه الشيخ كانوا على التوحيد ولا يزالون والله الحمد الأحياء منهم وأبنائهم وطلابهم وعموم هذه البلاد والله الحمد إلا ما شاء الله له أن ينحرف مع هذا العلم وظهور الدعوة وقيام الدعاة ووجود العلماء وظهور دعوة التوحيد من بقي على انحرافه فهذا لا تملك له من الله شيئاً، الشاهد، فقال لهم أحدهم أنا أريكم إن شاء الله أمره وأكشفه لكم .

فاجتمع الناس فسحروهم فعم سحره من بالموقف الذي في الجمع كانوا يرونه يفعل هذا وجاء أحد طلبه الشيخ وما كان مع أهل المجلس الذين باشرهم السحر فجاء وإذا به يرى الرجل يعترض بالجانب البعيد يأتي من جانب جيرانه من الأمام ثم يخرج مع ذيله والعكس يرجع فرآه على حقيقته فكبر بينهم أن الرجل يأتي من جانب البعير ففر الرجل وكشفه الله - جل وعلا - وقال لهم أنتم طمست أبصاركم سحر أعينكم أنا رأيت الرجل يمر من جنب البعير من بين

جيرانه من رأسه إلى ذيله إلى ذنبه ويعود وأنتم ترونه يدخل من فمه ويخرج من الخلف وهو لم يفعل ذلك أبداً فكشفه الله ذلك الساحر وولى هارباً.

فالشاهد أن هذا يحصل بسبب سحر السحرة لأعين الناس كما قال - عز وجل - سحروا أعين الناس واسترهبوهم وأما كونه ممكن فليس ذلك بغريب على قدرة الله - جل وعلا - ليس ذلك بغريب لكنه لم يحصل وكونه ليس مُستغرب على قدرة الله - جل وعلا - اقرأوا دليله أين؟ لو سألتكم أين دليله؟ فما جوابكم؟

المسيح الدجال أليس يقتل الرجل فيشقه نصفين أليس كذلك يموت ثم يقول له قم فيقوم بأمر الله أم لا؟ يلتئم مرة أخرى فيقوم فيقول هاه ما تقول في المرة الثانية؟ فيقول ما ازددت بك إلا يقينا أنت الأعور الدجال الذى حذرناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال إيش؟ فلا يقدر عليه .

فالمرّة الأولى وقعت ابتلاءً واختباراً والمرّة الثانية وقعت فضيحة وتكذيباً لهذا الدجال ، وأنه ليس بقادر على الشيء من عند نفسه ، ففي الأولى إنما فعل ذلك بإقدار الله له إبتلاءً وامتحاناً واختباراً ، فلما أراد الله تكذيبه وفضحه وكشفه لم يُقدره عليه مرة ثانية فاستبان للناس كذبه أو لا ؟ استبان للناس كذبه.

فالشاهد غير ممكن ولأُمحال على الله - جل وعلا - أن يحصل شيء من هذا ابتلاءً واختباراً لعباده ثم بعد ذلك يتلي من شاء ولكن مع هذا ما نُقل إلينا من أخبار الصحيحة إلا سحر التخيل والأخذ بالأعين والأبصار فالذي نؤمن به هذا ولا نتعدها نقول إن هؤلاء الذين يزعمون كذابون وهو غير مُحال على الله جل وعلا - أن يحصل هذا بإرادته وقدرته لكنه لم يحصل وكل من زعم ذلك فهو كذاب.

[المتن]

ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخيل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعدها ولا نبدل قولاً غير الذي قيل لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم. وبالله التوفيق.

واحكم على الساحر بالتكفير *** وحده القتل بلا نكير
كما أتى في السنة المصرحة *** مما رواه الترمذي وصححه
[الشيخ] نحفظه { فيما } هكذا عندكم فالذي نحفظه
كما أتى في السنة المصرحة *** فيما رواه الترمذي وصححه
وعندكم المحفوظ في النسخ { فيما } فلا نتعداه إلا أن نحصل على نسخه من المصنف بخطه.
عن جندب وهكذا في أثر *** أمر بقتلهم روي عن عمر
وصح عن حفصة عند مالك *** ما فيه أقوى مرشد للسالك
هذا هو الحكم الثاني وهو حكم الساحر:

(واحكم على الساحر) تعلمه أو علمه عمل به أو لم يعمل (بالتكفير) أي بأنه كفر بهذا الذنب
الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور:

منها سبب عدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب ، كتاب الله وراء ظهورهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ اللَّهَ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة) سواء أريد بالكتاب التوراة التي بأيديهم، أو القرآن الذي
جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم -، كل ذلك نبذه كفر، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا
مع من كفر بالله.

[الشرح]

يعني لا يأتي ولا يتأتى ولا يكون له تأثير إلا مع من وقع في الكفر بالله - جل وعلا - فإذا
كفر بالله حصل له هذا الذي يريده من ذبح للشياطين والجن واستغاثة بهم من دون الله -
تبارك وتعالى - وتقريب لهم ودعائهم والاعتقاد أنهم ينفعون ويضرون ويقدرتون فعل الأشياء
من دون الله - جل وعلا - وربما سجد لهم وصلى لهم وربما أهان الشرع بالدوس على
المصحف ونحو ذلك مما أخبر به السحرة من قديم الزمان ، إلى يوم الناس هذا فإذا تقرب
بأنواع الشرك والكفر خدموه فحينئذ ما يعمل إلا مع من كفر، ما يحصل له المراد إلا إذا وقع

في الكفر عيادا بالله من ذلك نعم، هذه هي الضريبة يخرج من دينه فيحصل له هذا البلاء الذي أراده نعم.

[المتن]

وهذا معلوم من سبب نزول الآية كما قال الربيع بن أنس وغيره أن اليهود سألوا محمدا - صلى الله عليه وسلم - زماناً عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله - سبحانه وتعالى - ما سألوه عنه فيخصمهم ، فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا ، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله - عز وجل - ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾

[الشرح]

اليهود عليهم من الله ما يستحقون يزعمون في أنبياء الله من الفرى والأكاذيب ما يزعمون وهنا ذهبوا الى أن سليمان كان ساحراً يتعاطى السحر ولذلك الجن معه ، فهؤلاء أكذبهم الله - جل وعلا - الجن إنما سخرهم الله - جل وعلا - بأمره - سبحانه وتعالى - إكراماً منه لسليمان حينما قال - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ فسخره الله - سبحانه وتعالى - الجن وسخر له الريح فالجن يعملون بين يديه بأمر الله - سبحانه وتعالى - ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ﴾ (س) وصفها الله بقوله ﴿كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ وعلمه الله - سبحانه وتعالى - ما علمه من خبرهم قال ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فهذا من ملك الله - جل وعلا - الذي آتاه سليمان سخر له الجن وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بأمرنا ، الآية فالشاهد هذا من إقدار الله - جل وعلا - له - صلى الله عليه وسلم - عليهم وإلا فلا قدرة له بمفرده لكن هذا مما خصه الله - جل وعلا - به ولو كان الذي يزعمونه حقاً لما أكذبهم الله

– جل وعلا – فكم مما زعموا أن الجن على زعمهم الباطل لأنها كانت مسخرة لسليمان زعموا أنه ساحر لأنه في علمهم هذا ما يكون إلا مع السحرة فرد الله – جل وعلا – عليهم بأنهم هم الذين يسرون في هذا الطريق حيث قال ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (البقرة) فهذا الذي أوحاه إليهم الشياطين إلى اليهود ، أما سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات والسلام فبرآء، فلذلك كشفهم الله – جل وعلا – لرسوله – صلى الله عليه وسلم – نعم .

[المتن]

ومنها قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ تتقوله وتزوره على ملك سليمان أي في ملكه وعهده ومعلوم أن استبدال ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد له والعمل به عوضاً عما أوحى الله تعالى إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – هذا من أعظم الكفر ، وهو من عبادة الطاغوت التي هي أصل الكفر وقد سمي الله تعالى طاعة العلماء والأمرأ في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله سمي ذلك عبادة وأنه اتخذ لهم أرباباً من دون الله فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال علي بن حاتم – رضي الله عنه – حين سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتلوها إنا لسنا نعبدكم قال أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه قالوا بلى قال فتلك عبادتكم إياهم نعم.

[الشرح]

وبوب عليه شيخ الإسلام في كتاب التوحيد كما تعلمون (باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله وتحليل ما أحله الله سبحانه وتعالى) [يقصد الشيخ تحليل ما حرم الله] فمن أطاعهم فقد اتخذهم أرباباً من دون الله لأنهم يحلون ما حرم فيطيعونهم ويحرمون ما أحل فيطيعونهم.

والله – سبحانه وتعالى – قد ذم هؤلاء في قوله في ما أنزله إليكم – سبحانه وتعالى – ويؤتى علينا وعليكم فهؤلاء الذين يقولون هذا القول أصبحوا كالمشرعين والحاكمين لأقوامهم يتبعونهم على كل ما قالوا والله – جل وعلا – يقول ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام: ٥٧) ويقول

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَا لِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس) فالذين يجعلون المحرم حلال والحلال محرم فهؤلاء مفترون على الله - تبارك وتعالى - والذين أذن الله لهم في ذلك بإخباره وإعلامهم أنبيائهم ورسولهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - مو الذين يقولون هذا حلال وهذا حرام بأمر الله لهم وإعلامه إياهم قل من عداهم إذا أحلوا الحرام الظاهر وحرموا الحلال الظاهر ينطبق عليهم قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٦) فهؤلاء منهم.

[المتن]

ولهذا قال تعالى بعدها ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[الشرح]

يعني لو أنهم آمنوا به لأخلصوا له العبادة ، لو أنهم آمنوا به حق الإيمان لأخلصوا له العبادة في الطاعة ولم يشركوا معه ولم يشركوا معه ، لأن اتخاذ العلماء والأمراء أرباب من دون الله ، هذا في شرك الطاعة ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعدي بن حاتم - رضي الله عنه - لما استنكر "وقال: إنا لسنا نعبدكم قال: أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويمحرمون ما أحل الله فتحلوناه قال: نعم ، قال: فتلك عبادتكم إياهم " فهذا شرك الطاعة. ولهذا قال - جل وعلا - ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١) فسماهم مشركين لأنهم أشركوا مع الله في أمره ونهيه ، في الأمر حينما قالوا لهم هذا حلاله حرام فأصبح حلال ، حينما قالوا لهم هذا حرام وهو حلال فأصبح حرام عندهم ، فهذه عبادتهم لأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله - جل وعلا - فهذا في طاعة الأخبار والرهبان .

فكيف في طاعة الفجار والشياطين والفساق والمجان والسحرة والمشعوذين منهم لأنهم من حزب الشيطان ، فمن أطاعهم فقد كفر لهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ فَصَدَقَهُ فَقَدْ كَفَرَ)) واللفظ الآخر ((مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)) " فإذا سأله عن شيء ثم عمل ، العمل ما يأتي إلا بعد تصديق القلب ، القلوب إذا أطاعت هؤلاء كفر أصحابها الكفر المخرج من الملة على الصحيح من قولي العلماء.

[المتن]

فإذا كان هذا في طاعة الأخبار والرهبان فكيف في طاعة الشيطان فيما ينافي الوحي فهل فوق هذا الشرك من كفر ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة ٣١) وعبادة الشيطان هو اتباعه فيما أمر به من الكفر والضلال ودعى إليه كما قال - عز وجل - فيه ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر ٦) وكم يقول للمجرمين يوم القيامة ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾

[الشرح]

وذلك لأنهم يُطيعون السحرة ويقولون لهم اذبحوا تيس أسود ! يذبحون تيس أسود ، تيس أسود في رأسه بياض ، يذبحون تيس أسود في رأسه بياض ، حروف أبيض في رأسه أو في ظهره لبخة سوداء بحثوا عنه حتى يجدون فيذبحون ، اذبحوا حروفاً قوائمه ببيض وهو أسود أو قوائمه سود وهو أبيض يتكلفون ويبحثون حتى يجدونه ، وهذا لا يكون ناشئ إلا عن التصديق لهم وإذا صدقوهم على هذا وعملوا فهم مؤمنون بما يقولون فبالتالي هم كفرة، نسأل الله العافية والسلامة .

[المتن]

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ برأ الله - سبحانه وتعالى - نبيه - عليه السلام - من الكفر ، وهذا الكفر الذى برأه تعالى منه هو علم الساحر وعمله ، وإن كان برىء من الكفر كله معصوماً من ما دونه لكن سياق الآية

الشيخ :

لكن سياق الآية أو لكن سياقاً ، كلا يصح إن قلت بالتخفيف رفعت وبالتشديد نصبت . لكن سياق الآية في خصوص السحر وأنه برىء منه ولو فرض وجود عمله به لكفر لأنه شرك .

والشرك أقبح الذنوب وأعظم والمحبطات للأعمال كما قال تعالى في جميع رُسُلِهِ سليمان وغيره بعد أن ذكّرَهُمْ ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام)

[الشرح]

وإذا كان كذلك دل على أن السحر من نواقض الإسلام وهو كفر يكفر به صاحبه لأن الله - جل وعلا - قد قال عن هذا النبي المعصوم منه ومن ما هو دونه قال ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ فدل على أنه كفر فمن باشره عملاً وتعليماً أو تعلماً فقد كفر بما أنزله الله - جل وعلا - على رسولنا محمدٍ - صلى الله عليه و سلم - فهو من النواقض التي من جاء بها فقد فارق ملة الإسلام عياداً بالله من ذلك .

[المتن]

وهذا معلومٌ من أصل القصة فإن اليهود قاتلهم الله تلقوا السحر عن الشياطين ونسبوه إلى سليمان - عليه السلام - فبرأه الله تعالى من إفكهم بهذه الآية كما قال مجاهد - رحمه الله تعالى - في هذه الآية ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ (البقرة) قال كانت الشياطين تستمعوا الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها فأرسل سليمان - عليه السلام - إلى ما كتبوا من ذلك فلم توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر

وقال سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - كان سليمان - عليه السلام - يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسیه في بيت خزانته ، فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه فدنت إلى الإنس .

فقالوا لهم أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يُسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا نعم ، قالوا فإنه في بيت خزانته وتحت كرسیه فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به فقال أهل الحجاز يعنى اليهود من أهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر فأنزل الله تعالى على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - براءة سليمان - عليه السلام - فقال تعالى :

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾

وقال محمد بن إسحاق بن يسار عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود - عليهما السلام - فكتبوا أصناف السحر ، من كان يجب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى إذا صنّفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ، ثم دفنوه تحت كرسیه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان إلا بهذا .

فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله .

[الشرح]

وهو كذلك وإلى يوم الناس هذا هو منتشر في اليهود السحر مُنتشر فيهم وكتبه أكثرها منهم ومنقولة عنهم ومردّها إليهم أكثره مردود إليهم ، وهم بارعون فيه لأنهم مُنحرفون منذ زمن بعيد ، سحرة اليهود ليس كسحرة غير اليهود بارعون في هذا الانحراف والشر عيادا بالله من ذلك .

[المتن]

فلما ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود تعجبون من محمد يزعم أن بن داود كان نبيا والله ما كان إلا ساحرا وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل به قال فأكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ وتفسير السلف وآثارهم في هذه الآية كثيرة جدا وما كان منه إسرائيليا فهو من القسم المقبول لموافقته ظاهر الآية في أن اليهود تعلموا السحر من الشياطين ورموا به نبي الله سليمان وأكفروه به وسبوه وخاصموا به محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فبين الله تعالى ما لبسوه وهدم ما أسسوه وبرأ نبيه سليمان - عليه السلام - مما اتفكوه وأقام الحجة عليهم في بطلان ما اتحلوه فله الحمد والمنة.

[الشرح]

والحمد لله وهذا الذي ذكر من هذه الأخبار كلها منقوله عن بني إسرائيل ولكنها كما قال الشيخ - رحمه الله - مؤيدة بظاهر القرآن وصريح القرآن ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ اتبعوا اليهود .

ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وأما سليمان - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - فلم يتبعوه فاتبعوا هذا السحر ، وزعموا أن سليمان ساحراً وهم يعلمون براءته من ذلك

ولكن اليهود من أكثر الناس كذباً على الأنبياء وأكثر الناس على الإطلاق حرباً للأنبياء ، وأكثر الناس تحريفاً لرسالات الأنبياء من أكثر الناس كذباً على الأنبياء وحرباً للأنبياء وتحريفاً لرسالات الأنبياء ، أنبياء بني إسرائيل أكثر الناس حرباً لهم وكذباً عليهم وتحريفاً لرسالتهم هم اليهود عليهم من الله ما يستحقون .

فلما جاءوا إلى نبينا - صلى الله عليه وسلم - ظنوا أن الأمر سينطلي كما كان من قبل على أهل المدينة لأنهم كانوا هنا بالمدينة ولكن المؤيد بالوحي من ربه - صلوات الله وسلامه عليه - أنزل عليه ما يكذبهم ويفضحهم ويهتك سترهم ويبين براءة أنبيائه ورسله مما ينسبونه إليهم.

فلعلنا نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على رسوله محمد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط www.miraath.net وجزاكم الله خيراً

